

## «النار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله»



17 أكتوبر 2018 - 06:47

عريب الرنتاوي

في الأنباء، أن «ال خليفة أبو بكر البغدادي»، أصدر أوامره بإعدام أكثر من ثلاثمائة وعشرين من أتباعه ومبايعيه، وبعضهم، أو بالأحرى، كثره منهم، ممن شغلوا مواقع قيادية في «تنظيم الدولة»، ميدانياً وإدارياً و«شرعياً»... أما السبب أو المبرر «الشرعي» مرة أخرى، فهو «الخيانة» و«الإدبار»... بعضهم قضى نحبه على أيدي «الإخوة الأعداء»، وبعضهم الآخر، ينتظر عاجزاً أو شرع في رحلة البحث عن «ملاذ آمن» في «دار الحرب».

ووفقاً لمصادر «داعش» ومواقعها والخبراء المختصين بشؤونها، فإن هذه ليست سوى «وجبة أولى» ستتبعها وجبات أخرى من المشمولين بقرارات التصفية والإعدام التي أصدرها أو سيصدرها الرجل، الذي أعلن عن نفسه كـ«خليفة» للمسلمين، عندما استتب له حكم ثلث سورية وثلث العراق، من دون أن يتنازل عن «عرشه» بعد أن تبدد سلطانه، ومادت الأرض من تحت أقدامه، ولم تبق له سوى جيوب متناثرة وخلايا نائمة وذئاب منفردة... حتى «البغدادي» يصر على البقاء متربعا على كرسي «الخلافة»، وهو «المنبت»، الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى».

وفي الأنباء أيضاً، أن حرب اغتيالات وتصفيات تندلع بضراوة في الشمال السوري الغربي، حيث «موطن» التنظيم الجهادي الآخر، صاحب الصيت الأقل ضراوة من نظيره السلفي - الجهادي (داعش)، وأعني به جبهة النصرة... فقد سجلت الأيام القليلة الفائتة، اندلاع حملة اغتيالات وتصفيات «غامضة»، طاولت عدداً من قادته الميدانيين و«الشرعيين»، ويرجح أنها تندرج في سياق صراعات التنظيم الداخلية، وفي حربه المتشعبة ومتعددة الجبهات، ضد «حراس الدين»، نظرائه في العقيدة وأقرانه في «الجهاد»، وضد الفصائل المحسوبة على تركيا والمصنفة «معتدلة»، وكثيراً منها منضو في إطار جبهة تحرير سورية وجيشها «الوطني»، وهي جبهة سُدّت في وجهها سبل «تحرير إدلب» بعد إتمام المرحلة الأولى من تنفيذ «تفاهات سوتشي»، دع عنك تحرير سورية، ولا أدري كيف يوصف جيشها بـ«الوطني»، وهو الأقرب في مبناه ومعناه ووظائفه، إلى جيش لبنان الجنوبي الذي أسسه المنشق سعد حداد، وواصل قيادته أنطوان لحد، مع فارق واحد فقط بين الجيش، أن الشمالي منهما، يتبع تركيا ويدار من قبلها تنظيماً وتخطيطاً وتسليحاً وتدريباً، فيما الثاني، الجنوبي، فكان أداة إسرائيل و«دميتها» في جنوب لبنان، قبل أن يستكمل «حزب الله» مهمة تحرير الجنوب وطي هذا الصفحة تماماً. على أي حال، تشفت هذه الأنباء والتقارير المؤكدة، عن حقيقة أن «عقيدة التطرف والتكفير والإلغاء والإقصاء»، لا تتوقف بأصحابها عند حد على الإطلاق... يبدؤون بتكفير الدولة بأجهزتها ومؤسساتها، بعد «تكفير» الحاكم وتشريع «الخروج عليه»، ثم يكفرون المجتمع ويبرؤون من جاهليته، والجاهلية عندهم لم تنقطع في الزمان والمكان، فهي ممتدة منذ ما قبل الإسلام وحتى يومنا هذا، وبهجرونه إلى «الفرقة الناجية»، التي يكاد يكون من المستحيل تحديدها ملامحها أو الانشقاق حول هويتها وماهيتها. ثم يأخذ هؤلاء بالتمييز بين المسلمين، فيخرجون كافة المذاهب من الملة، ولكل مذهب أسبابه ومبرراته، فتظن أن الإسلام لا يحتمل سوى قراءة واحدة واجتهاد واحد، بل أن

الأئمة النقاة، ليسوا موضع ثقة هذا الفريق، فلديهم اختياراتهم المفضلة من قائمة الأئمة والمجاهدين، حتى من أهل السنة والجماعة ... فنتقطع سبل العيش والتعايش بين المسلمين، ويصبح الاحتراب هو سيد الموقف في حسم الجدل والاختلافات الفقهية.

تتالى الانقسامات، فيندلع الصراع مع «نظرائهم» من الحركات الإسلامية الحركية الأخرى، السياسية والاجتماعية، السنّية أساساً، فلا «الإخوان المسلمون» مشمولون بـ«رحمتهم» ولا بقية المدارس السلفية و«التحريرية» و«التبليغية» و«الصوفية» وغيرها، جيدة بما يكفي لكي تشملها عين العطف والرضا، فترى حروبهم على هؤلاء، أشد هولاً من حروبهم على «من حكموا بغير شرع الله».

ولقد بلغت بنا السذاجة، حد التكهن ذات يوم، في سياقات الأزمة السورية، أن «النصرة» و«داعش»، سيضعان خلافتهما جانباً، ويمتشقان السلاح سوية، للتصدي لأعدائهما المشتركين من «علمانيين» و«كفرة» و«ملاحدة» و«روافض»، لاسيما وأن قوات «العدو» كانت تدك آخر معاقل التنظيمين معاً، فإذا بالعداوة بين «إخوة العقيدة» أشد ضراوة من العداة لجبهة «الجاهلية» متعددة الخنادق والرايات.

لم يقف الأمر عند هذا الحد، إذ حتى في التنظيم الواحد ذاته، رأينا تصفيات وإعدامات بالجملة والمفرق، ووجدنا في بعض الأحيان العذر لهم، فجبهة الأعداء واسعة وعريضة، قادرة ومقتدرة، متعددة المواهب والأسلحة ووسائل الاختراق والتنظيم والتجنيد ... لكننا اليوم، أمام حرب تصفيات، تخطت هذا السياق، وأخذت شكلاً أوسع نطاقاً، يزيدنا اشتعالاً، وأقع الهزيمة المريرة الذي يلقي بثقله على قيادات هذه الجماعات ... فما يجري اليوم من إعدامات صريحة واغتياالات غامضة، يذكر بما يقال عن العقارب التي تقرص نفسها في عملية أشبه ما تكون بالانتحار الجماعي، ويستدعي القول الذائع: النار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله.